الأهرام

١٩٥٦/٨/٢٨

زائف

سئل السيد على صبرى اثر وصوله من العاصمة الانجليزية هل يرى أن مؤتمر لندن قد نجح ؟ فأجاب سيادته بأن هذا المؤتمر أصاب النجاح من وجهة النظر المصرية .

ومعان كثيرة استحضرها هذا الجواب. فتبينا مثلا الى ان مؤتمر لندن ارتفع وهو ينبذ الالتجاء الى القوة المسلحة بعد أن كان الالتجاء الى القوة المسلحة اول خاطر طاف بالاذهان فى بريطانيا وفرنسا لما شجر النزاع على قناتنا. وتبينا مثلا الى ان اعضاء المؤتمر قد اجمعوا على شرعية تأميمنا للشركة التى كانت تسوى أمر الملاحة فى قناتنا ، بعد ان كانت بريطانيا وفرنسا تنكران هذا الحق علينا او على امة صغيرة مثلنا .

ولكن معنى طواه هذا الجواب ، لعله الآن يتردد فى خاطر سيادته ويطلقه الآن مشاعرنا ، نود جلاءه لانه لايقل قيمة عن المعانى الظاهرة الاخرى . هو معنى يتصل بولاء الدولة المستقلة لمبدأ استقلالها ، فيتعلق بالفرق بين دولة مستقلة ودولة مستقلة .

الاستقلال كسائر الاسماء التى تدل على صفة يختلف مدلوله باختلاف ما يكون نصيب صفته من الحقيقة . فيحق لنا أن نتحدث عن استقلال صحيح وعن استقلال زائف ، كما يحق لنا أن نتحدث عن شجاعة صحيحة وعن شجاعة زائفة ! ولكن الفرق بين الاستقلال والشجاعة ، أن الشجاعة معروفة منذ ابتداء العالم ننعتها بأنها صحيحة أو زائفة . ولكن الاستقلال (ونعنى به استقلال الدولة) لم يحتمل هذا التمييز بين الشىء ونقيضه الا منذ سنوات قليلة .

ذلك أن التاريخ ، الى عهده الاخير ، لم يكن يعرف الا دولا مستقلة ، ودولا غير مستقلة . دولا مستقلة ، أى مسيطرة . ودولا غير مستقلة ، أى مسيطرا عليها ، لبانت استقلالها على مر السنين فكانت أسماؤها مستعمرة ، أو ولاية ، أو محمية ، أو بلدا مشمولا بالانتداب أو الوصاية .

ولما نضج الخلق الدولى وأبت الكرامة الا أن تنعم كل أمة بحقها الطبيعى فى استقلالها ارتقت الامم غير المستقلة ، أو ارتقى معظمها الى مصاف الامم المستقلة. ولكن الطامعين من الدول الكبيرة لم تشأ لهذه الامم الصغيرة الا ارتقاء الى مصاف الاسماء دون مصاف الافعال. فانها لم تتخل عن سيطرتها على الامم الصغيرة الا مكرهة ، وهى تطمع فى أن تستديم هذه السيطرة بأسماء جديدة ووسائل مبتكرة .. تلك هى مأساة الاستعمارية الحديثة ..

وأمعن فى الدلالة على خطر السيطرة التى تأبى الموت وتبعث حية كلما دفنها الحق بعون العدالة ، ان هذه السيطرة ما برحت ترغم دولا كانت قد استقلت منذ آماد بعيدة ، لها سيطرتها الصغيرة كما للدول العظمى سيطرتها الكبيرة .

ومن الاسماء الجديدة التى تستتر بها تلك السيطرة العالية اسم دولة حليفة ، أى دولة مقيدة بأحد الاحلاف التى صارت براعة الدبلوماسية تتجلى فى نصب شباكها الدقيقة. ومن الوسائل الجديدة التى تتذرع بها تلك السيطرة العالية اسم « المعونة الاقتصادية والفنية » او ما يماثلها من المعونات التى تدعو اليها حاجة عارضة أو دائمة . وهكذا صار يجب التمييز بين دول مستقلة ودول مستقلة ..

ودل القرار الذى انتهت اليه سبع عشرة دولة فى مؤتمر لندن على أن هذا التمييز واجب حقا أو على أن كلمة استقلال وحدها صارت لا تؤدى معنى ، فيجب قرنها بصفة ، تنبىء على الاقل بأن الاستقلال ليس زائفا

أجل ! دل القرار الذى انتهت اليه هذه الدول السبع عشرة على أن سيادة الدولة قد تكون ملكا لنفسها ، وقد تكون ملكا لغيرها واذا كانت ملكا لنفسها فقد يجوز اغراؤها ، لقاء أجر معلوم بالدولار أو معلوم بالجنيهات الاسترلينية فى صورة معونة اقتصادية وفنية أو فى صورة معونة عسكرية ..

وبضدها تتميز الاشياء ! وازاء السبع عشرة دولة دولة، هى مصر .. فى سبيل استقلالها أى فى سبيل كرامتها ، تلك شاعرة حقها على الملأ ، تأبى المساومة فى حقها ، تأبى المهاودة فى القعود عن سيادتها ان رفعت صوتا للاحتجاج وان صمتت لم يلق قلقا غيرها . وان رفعت صوتا أو صمتت لم تبع ارادتها بصوتها او صمتها ، لم تهدر قوميتها وقومية اقاربها ، لم تخن عهدا للصداقة خانه بعض أصدقائها

رأس مرفوع لا يطأطأ لجبار « اعتز به » يا مصر ، هو علم الاستقلال .

www.ethraadl.com
إثراء
المعارف الرقمية